تفريغات

الدورة الشرعية الثانية للملك سليمان العلوي

تحت رعاية دار الحديث بالناضور – المملكة المغربية

شرح

ثلاثة الأصول

تأليف شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

قام بها

فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء

www.miraath.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأنبيَاءِ أن يُقَدِّمَ لَكُم تَسْجِيلًا لدرسٍ في شرح

الأصول الثلاثة

للإمام محمد بن عبد الوهاب

– رحمه الله تعالى –

ألقاه

– حَفِظَه اللّهُ تَعَالَى –

ضمن فعاليات دورة الملك سليمان العلوي الشرعية الثانية التى أقيمت بمدينة الناظور بالمملكة المغربية فى شهر جمادى الأولى عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف هجرية

نَسألُ اللّهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أنْ يَنْفَعَ بهَا الجَمِيع.

الدرس الأول

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

المتن:

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

الشرح:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فكما سمعتم قول المؤلف – رحمه الله تعالى –:

أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل

العلم علمان: علمٌ واجبٌ وجوب عينٍ على كل مسلمٍ ومسلمة، وعلمٌ تعلُّمُه ليس بواجب وجوب عين ليس بفرض عين وإنما هو فرض كفاية.

والفرق بين فرض العين وفرض الكفاية:

أن فرض العين يأثم كل واحدٍ إذا تركه وأما فرض الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقين.

وهذا الذي ذكره المؤلف – رحمه الله – من القسم الأول

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل

الأولى: العلم

هذه المسألة الأولى: العلم

والعلم قد فسره هنا بقوله: معرفة الله ومعرفة إيش؟ نبيه – صلى الله عليه وسلم – والثالثة معرفة دين الإسلام بالأدلة.

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل

هذه الأربع يجب أن نتعلمها وجوبًا عينيًا.

الأولى من هذه المسائل الأربع: العلم ثم فسر – رحمه الله – العلم بأنه العلم أولًا معرفة الله وثانيًا معرفة رسوله – صلى الله عليه وسلم – معرفة نبيه وثالثًا معرفة دين الإسلام بالأدلة

العلم هو الشرف الحقيقي،

العِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلوبٍ وَطَالِبُهُ لِلّهِ ۞۞۞ أَكْرَمُ مَن يَمْشِي عَلى قَدَمِ العِلْمُ

والكلام في فضل العلم وأهله معلمين ومتعلمين كثير وقد سمعتم شيئًا من كلمات تقدمت فى كلمتي الأخوين وليس هذا موضع البسط فيه.

فأولًا معرفة الله – تبارك وتعالى – هذا أول واجبٌ على العبيد معرفة الرب – سبحانه تعالى–

أَوّلُ وَاجِبٍ عَلى العَبِيد ۞۞۞ مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بالتَّوْحِيد

إِذْ هُوَ مِن كُلِّ الأَوَامِرِ أَعْظَمُ ۞۞۞ وَهُوَ نَوْعَانِ أَيَا مَن يَفْهَمُ

فالعلم أول شيءٍ أن يعرف العبد ربه – جل وعلا – ومعرفة الله تكون بمعرفته –سبحانه وتعالى –بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى، فتعرف هذا الرب الخالق الرازق المحيي المميت المهيمن المصور السميع البصير – سبحانه وتعالى –، تعرفه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى الدالة على عظمته –جل وعلا – فتثبت له ما أثبت لنفسه – سبحانه وتعالى – من الأسماء والصفات فى كتابه وما أثبته له رسوله – صلى الله عليه وسلم –فى صحيح سنته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٨٠]

له الأسماء الحسنى –سبحانه – فتعرف أنه الخالق فلا تطلب الولد إلا منه تعرف أنه الخالق فإذا لم يرزق – سبحانه وتعالى –لا تتجه إلَّا إليه بالسؤال فإنه –سبحانه وتعالى –هو القوي العزيز: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[الشورى: ٤٩ – ٥٠] –سبحانه وتعالى –

فإذا عرفت أنه الخالق فإذا لم يأتك الولد لا (...) ورعًا ولا تذهب إلى الولي الفلاني ولا إلى السيد الفلاني تطلب منه أن يرزقك الولد لا إنما الخالق هو – سبحانه وتعالى – الله هو اللطيف بعباده ويعلم ما يصلح لهم وما لا يصلح لهم ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ٣]

بل أعظم من ذلك قد ضرب الله المثل الواضح في بيان ضعفهم أنهم لو جاء أضعف مخلوق وسلب منهم شيئًا ما استطاعوا أن يخلصوه منه وأشار إلى ذلك -جل وعز -بقوله: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]

فلو أن هذا السيد أو الولي ضمَّخ رأسه بالطين فنزل الذباب عليه أو على وجهه فامتص منه نقطةً يسيرةً على ضعفه فقال به هكذا عن وجهه هل يستطيع أن يسترد ما أخذه هذا الذباب؟ يستطيع؟ لا يستطيع مع صولجانه وقوته فإذا كان لا يستطيع أن يستنقذ شيئًا سلبه منه هذا المخلوق الضعيف فكيف يستطيع أن يملك لغيره هبة الولد.

إذًا، إذا عرفت أن الله هو الخالق فلا تطلب الولد إلا منه وإذا عرفت أنه الرازق فلا تطلب الرزق إلا منه فتدعوه بأسمائه قائلًا: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74] ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء:89]

فتدعو الله -سبحانه وتعالى -بأن يرزقك الولد وأن يوسع عليك في الرزق فهذا من دعائه بأسمائه -جل وعلا -، يا خالق ارزقني ذريةً صالحة يا رازق أو يا رزاق ارزقني من فضلك العظيم وهكذا، فتدعوه بأسمائه الحسنى ممتثلًا قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]

فأنت الآن تناديه باسمه العظيم وتتقرب إليه بذلك وتعبده بهذا فإن الدعاء هو العبادة كما قال الله: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

والنبي -صلى الله عليه وسلم -يقول: «الدُّعَاءُ هُـوَ الْعِبَـادَةُ» واللفـظ الآخـر وفيـه ضـعف: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» يعني خالصها.

فتعرف الله -جل وعلا -بأسمائه وهذا معنى معرفته بأسمائه تعرفه بصفاته -سبحانه وتعالى -تتعرف إليه وعليه بمعرفته بصفاته -سبحانه وتعالى -فمثلا إذا قرأت قول الله -جـل وعـلا -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ ﴾ [النساء: ٥٨] ثم تصل إلام ؟ إلى إثبات صفتي السمع والبصر ـ التـي قـال الله فيهـا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء: ٥٨] تلاها رسولنا -صلى الله عليه وسلم -وهو على المنبر فلما تلاهـا قـال هكـذا -عليه الصلاة والسلام -وضع سباحتيه على عينيه وإبهاميه على أذنيه إشارة إلى أن هاتين الصفتين صفتان حقيقيتان لا كما يقول القائلون إنهما مجاز فإذا كان سميعًا تؤمن بأنه يُحصي عليك كل شيء فلا تقول إلا خيرًا وإذا كان قد استقر في نفسك أن هذا الربَّ بصيرٌ تستحي منه لأنك قد أيقنت بأنه يراك وهذا هو الإحسان: **"أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"**

فلا يراك إلا على حالٍ طيبة وتبتعد عن كل حالٍ سيئة فهذا هو معرفتك لربك -تبارك وتعالى -بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى : ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ [ق: ١٨]

قال -جل وعـلا -: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦] وهـو -سـبحانه وتعـالى -معـك: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨]

يبصر – سبحانه وتعالى –عباده ويراهم ويُحصي عليهم أعمالهم –سبحانه وتعالى –فبصره نافذٌ في كل شيء فإذا عرفت أن الله سميعٌ وبصيرٌ أحجمت عن الكلام إلا فيما ينفعك وعن العمل إلا فيما يشرع ويجوز لك أن تعمل.

فهذا تعرُّفٌ على الله بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى ثم تثبت هذه الصفات على الوجه اللائق به –سبحانه وتعالى –كما أثبتها رسوله –صلى الله عليه وسلم –وأثبتها له أصحابه –رضي الله عنهم –والتابعون وأتباع التابعين ثم القرون المفضلة وأهل السنة قاطبة يؤمنون بأن لله صفات تليق بجلاله وعظمته –سبحانه وتعالى –ليست كصفات المخلوقين كما قال –جل وعلا –: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] ثم قال –جل وعز –: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

فنفى أن يماثله أحد وأثْبتَ لنفسه صفتي السمع والبصر فأنت إذا أثبتَّ لله السمع والبصر وقلت إن الله سميعٌ وإن الله بصيرٌ لا يستلزم ذلك مشابهة الخلق بحالٍ من الأحوال بل أنت متّبعٌ لصريح القرآن: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ نفى المماثلة عنه –سبحانه وتعالى –وهذا رد على الذين يمثِّلون الله ويشبهونه في خلقه وأثبتَّ لنفسه صفتي السمع والبصر فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾

فأنت أثبتَّ لله ما أثبته لنفسه لم تقل عليه ما نهاك عنه بل قلت عنه ما قاله –سبحانه وتعالى –عن نفسه فهو القائل: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ وأنت تقول وهو السميع البصير والسميع الذي يسمع الأصوات والبصير الذي يرى المبصرَات هذا نص كلام ربنا –تبارك وتعالى –تكلم الله به

وسمعه منه جبريل -عليه السلام -ونزل به على محمد -صلى الله عليه وسلم -فقرأه علينا رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه -فحينئذٍ أنت متبعٌ لطريقة القرآن مشيت على ذلك تعرفت على الله بأسمائه فدعوته بها تعرفت عليه بصفاته فأثبتَّها له.

والصفاتُ على قسمين:

- صفات ذاتٍ
- وصفاتُ فعلٍ أو أفعالٍ،

فأما صِفاتُ الذات فهي اللازمةُ لهُ-سُبحانَهُ وَتَعالى -وَأمَا صِفاتُ الأَفعال فَهي التِي يَفعَلُها مَتى شَاء، كَيف شَاء -سُبحانهُ وَتَعالى -في حِينٍ دُون حِين، فَالنُّزولُ صِفَةُ فِعل، النُّزولُ صِفَةُ فِعل؛ لأَنّ النَّبيُ -صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم -يَقول يَنزلُ رَبنا حِينَ يَبقى ثُلُث اللَيلِ الآخِر، فَيقولُ الحَديث.

وَالكَلام صِفةُ ذاتٍ:

فالله ربيّ لم يَزَل متكلِّمًا ۞۞۞ وكلامُهُ حقًا بلا نُكران

والبصر صِفَةُ ذاتٍ والسمع صفةُ ذاتٍ وهكذا فصِفاتُ الذات هي التي لا تنفكُّ عنهُ -سبحانهُ وتعالى -وصفاتُ الأفعال هي التي يفعلُها متى شاء -جلّ وعلا -كيف شاء.

والكلامُ الذي أشرنا إليهِ صِفةُ ذاتٍ باعتبار أنّ اللهَ مُتكلمًا أزلًا وهو أيضًا صِفةُ فعل إذا قضى الله -سبحانهُ وتعالى -القضاء تَكَلّمَ بهِ كما جاءَ ذلك في صحيح البُخاري، إذا أرادَ اللهُ شيئًا تكلم بالوحي فأخذت السمواتُ منهُ رِعْدةً شديدةً..... الحديث.

فهو صِفةُ ذات باعتبارِ أنّ الله لم يزَل مُتكلِّمًا أزلًا وأبدًا ويتكلمُ متى يشاء.

فإذًا الصِفاتُ عندنا على قسمين: صِفات ذات وهي تعريفها: اللازمةُ لربنا -تبارك وتعالى -لا تنفكُّ عنهُ كصفة السمع والبصر، والتي تكونُ عكس ذلك التي يفعلها وقت ووقت هذه صفات، وقت ما شاء، هذه صفات فعل، يفعلها متى شاءَ كيف شاءَ -سُبحانهُ وتعالى - والكلامُ؟ صفة الكلام؟

يتكلمُ متى شاءَ بما شاءَ مع من شاءَ كيفَ شاء – سُبحانهُ وتعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ [الشورى 51] الآية،

فإذًا الكلام صفة ذات باعتبار أنّ الله مُتكَلِّم – سُبحانهُ – أَزَلًا وأبدًا، وصفةُ فعلٍ باعتبار أنهُ يتكَلَّمُ متى شاءَ بما شاءَ كيفَ شاءَ معَ من شاءَ – سُبحانهُ وتعالى – فإذا تَعَرَّفتَ على الربّ بأسمائِه ودعوتَهُ بها وبصِفاتهِ وَعَرَفتهُ بها أَوجبَ ذلك الثمرةَ العظيمة ألا وهي: معرفةُ هذا الخالق، فإذا عَرَفتهُ خالِقًا وموجِدًا ورازِقًا مُصَوِّرًا سميعًا بصيرًا إلى آخر الصِفات فهل يستحقّ أحدٌ أن يُعبَدَ معهُ؟ لا يُمكن، إذًا فهذه المعرفة التي هي على هذا الوجه أثمرت النوع الآخر من نوعي التوحيد ألا وهو توحيد الألوهية -أحسن الله إليك وزادنا وإياكَ وإياكم عِلمًا-.

الأول: معرفةٌ وإثبات، عرفنا أن الله الخالق والرازق والمُحيي والمميت والمُدّبر لجميع شئون خلقهِ -سُبحانهُ وتعالى -وتعرفنا عليهِ بأسمائهِ وصفاتهِ هذا هو توحيد المعرفة والإثبات عرفناهُ وأثبتنا لهُ الأسماء والصفات، فالذي يَعرِفُ هذا ينتقلُ إلى الثاني بِموجب النظر الصحيح فإن من كانت هذه أسماؤه وهذه صفاتهُ لم يَجُز أن يُعبدَ معهُ غيرهُ -سبحانه وتعالى -فتوحيدُ المعرفة والإثبات الذي هو توحيدُ الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، المعرفة لهذا الربّ وأنهُ الخالِقُ وَالمُصَوِّرُ

بَارِي البَرَايا مُنشئُ الخَلائِق ۞۞۞ مُبْدِعُهُم بِلا مِثالٍ سَابِق

أورثكَ إثبات هذه الصفات لهذا الإله العظيم، فالمعرفةُ والإثبات تُورثُك الإخلاص في توحيد العبادة فإن توحيد المعرفةِ والإثبات يستلزم توحيد القصد والطلب، المعرفة عرفنا لماذا سُمي معرفة؟ تعرفنا عليهِ بأسمائه وإثبات؟!

أثبتنا له الأسماء والصفات، فإذا كانَ هذا هو الربُ وهذا هو المعبود لَزِمَ أن يُقصد -سبحانهُ وتعالى -ولا يُقصد معهُ أحد وأن يُعبَدَ وحدهُ -سبحانهُ -ولا يُعبد معهُ أحد.

فإذًا العلم بالله -سبحانه تعالى -معرفةُ الله أي معرفتهُ بتوحيدهِ – جلّ وعلا -لا كما يقول أهل الكلام وإنما معرفتهُ بأسمائه وصفاته المُستلزمة لإفرادهِ -جلّ وعلا -بالعبادة، فإنّ الخالِق المُحيي المميت الرازق المدبر شئونَ خلقه لا يستحقّ معهُ أحدٌ للعبادة أبدًا، فيُورث كذلك إخلاص العبادة كيف ذلك؟

القُرآن دلّ عليهِ لكن دعونا نتخاطب مع أهل العقل قليلًا ممن لا يؤمنُ بهذا القرآن فنقول لـهُ هل هناك خالقٌ غيرُ الله؟ لا يملك أحد إلا من وصل إلى مرتبة فرعون مـن الملاحِـدة، ففرعـون قال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص 38]

والملاحدة يقولون: إنّ الخالق هو الطبيعة، الطبيعة هكذا وُجِـدت بنفسـها، لكـن مـن عـدى هؤلاء جميعُ ذرية آدم يؤمنون بأنّه لا خالِق إلا الله، ما في خالق إلا الله، أمـا الملاحِـدة، الوثنيـون هؤلاء فلا كلامَ معهم.

نتحدث معهُ الآن بالعقل، لأنّ أولئك لهم حديثٌ آخر، نستخدم معهم العقل من بابٍ آخـر، لكن هؤلاء، هل من خالق غـيرُ الله؟ الجـواب لا، فـإذا كـان لا خـالقَ إلا الله أفردتمـوهُ بـالخلق وبالإماتة هل من رازق غير الله؟ أفردتموه بالرزق، من يُنزّل من السماءِ مـاءً؟ الله-جـلّ وعـلا - أفردتموه بذلك، فإذا كان كذلك فهل يستحقّ أحدٌ أن يُعبدَ معه؟ الجوابُ لا.

هذا الجواب الصحيح الذي ينطلق عن العقل الصحيح الخالي من الآفات والمرض، فإذا كانَ كذلك إذًا لماذا لا تعبدهُ؟ فحينئذٍ أقل شيء تُلقي عندهُ الحيرة، وتجعلهُ يتساءل فيأتي إليك وأنت مُسلّحٌ بالعلم تُجيبهُ إن شاء الله عن كلِّ سؤال فيهديهِ بعد ذلك إلى الإسلام.

وهكذا من وقعَ في لوثة الشرك من المسلمين أيضًا تدعوهم، هل أحد يخلق مع الله؟ يقولك لا!

هل أحد يستطيع أن يُميتك قبل يوم أجلك؟ يقول لا!

طيب إذا كان انفرد بالخلق والإحياء والإماتة ألا يستحقّ أن يُفرّد بالعبادة؟ بلى فسيُجيبُكَ بلى، فحينئذٍ تدخُلُ معهُ في بيان الخطإ الذي دخلَ عليهِ في توحيدِ العبادة وتأمرُهُ بذلك قائلًا له: كما أفرَدتهُ بالخَلق والإيجاد والإماتة، وأفردتهُ بالرزق، لا يرزُقك غيره فيجب أن تُفردهُ بأفعالِكَ أنت فلا تدعو معهُ غيرهُ ولا تعبد معهُ غيره – سبحانهُ وتعالى –فهذه نتيجة مُسلَّمة، فتوحيد المعرفةوالإثبات يستلزمُ توحيد القصد والطلب، فلا تقصُد إلا الله في جميعِ حاجاتِك، ولا تطلب إلا الله في جميعِ قضاءِ حوائجك، صغيرها وكبيرها فالعلم:معرفة الله وهذا هو مُختصرًا، ومعرفةُ نبيهِ– صلى الله عليهِ وسلم–وسيأتينا.

المتن:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ .

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ .

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ .

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:1-3]

قَالَ الشَّافِعِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –: (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ).

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –: بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد:19] **فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.**

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ :

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، ورَزَقَنَا، ولَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: 15، 16].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، ووَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَهُ، ولَوْكَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22]

الشرح:

الحمد لله، سمعتم ما قرأهُ علينا -جزاهُ اللهُ خيرًا -العلم إنما كانت هذه منزلتهُ لأنهُ دالٌ على الله ومُصححٌ للعمل، اعلم أنهُ يجب علينا تعلم أربع مسائل الأولى: العلم، إنما كانت هذه منزلته بُدِئ بهِ، لأنهُ دالٌّ على الله، مُصححٌ للعمل.

فأما كونهُ دالًّا على الله، فَأنتَ إنما تَعرفُ الله -سبحانهُ وتعالى -وتتعرف عليهِ بأسمائهِ وأفعالِهِ، ووصفُ الله-سبحانهُ وتعالى-ليس هذا إلا في القُرآنِ والسُنّة، ولا سبيلَ إلى ذلك إلا بالتعلم، إنما

بُدئ بالعلم نعود مرةً أخرى، لأنهُ دالٌ على الله ومُصححٌ للعمل فوجبَ أن يتقدَّمَ على العمل وذلك كما قُلنا، دِلالتهُ على الله، بأن تعرِفَ الله بأسمائهِ وأفعالِهِ.

ومعرفتهُ سبحانهُ وتعالى-بأسمائهِ وأفعالهِ، لا طريقَ إليهِ إلا من طريق الوحي، القُرآن والسُنّة، ولا سبيلَ إلى ذلك إلا بالتعلّم، فوَجَبَ أن يتقدّم العلم، تعرِفُ ربك بذلك ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: ١٩] هذا يكون بمعرفة الله بأسمائهِ وصفاتهِ.

﴿هذه كلمة وردت إلينا من الإخوة المُنظمين بالمكان يقولون يطلبون من إخوانهم وأبنائهم الضيوف أن يتقدموا قليلًا يعني إذا كان هناك فراغ فليتقدم كل إنسان في الفراغ الذي أمامه حتى يتَّسِع للإخوة الذين حضروا ولم يجدوا مكانًا فأنتم انظروا هذا في أنفسُكُم لا نقول لكم إلا كما قال الله -جل وعلا -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ [المجادلة: 11] فأنتم من رأى أمامه فساح وسَعة فليتقدم مؤثرًا أيضًا لإخوانهِ الذين هم في الخارج واقفون، وثقوا تمامًا أنكم ستجدون شيئًا من الضيق أول ما تُغيرونَ حالكم ولكن تجدون إن شاء الله الفُسحة في صدوركم فستتَّسع بإذن الله، الفُسحة المعقولة التي لا يضيق بها الإنسان، فُسحة مجلسه، لكن إذا كان المجلس يشيل واحد ونصف وبجواره مثله فيصبحون الاثنين ثلاثة، فليرفع عن النصف هذا والثاني يرفع عن النصف الثاني فيأخذُ ثانيا﴾.

نعود فنقول العلمُ هو هذا وجب أن يتقدم لأنه كما ذكرنا مُصححٌ للعمل لا يمكن الإنسان أن يعمل على جهلٍ، فإذا عَمِل على جهل أصبح ما يفسده أكثر مما يُحسنه، ورُبَّما أراد إحسانًا فأساء

رَامَ نفْعًا فضرّ مِنْ غَيْرِ قصْد ۞۞۞ وَمِنَ البرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقًا

يُريد الخير،"وكم من مُريدٍ للخيرلم يُصبهُ" أو "لم يدركه" كما في اللفظ الآخر، فلابد من العلم ولذلك بدأ به ربُّنا قبل القول والعمل فقال - جلَّ وعلا-:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد:١٩]

فبدأ بالعلم قبل القول وقبل العمل وبوب على هذا البخاري بقوله: بابٌ العلم قبل القول والعمل وذكر الآية،

والشَّافعيُّ –رحمه الله – يقول كما ذكر المصنف: لو ما أنزل الله على عباده حُجَّةً إلا هذه السورة لكفتهم،وذكر سورة العصر: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ﴾ [العصر:1-3]

الإيمان هو العلم، هو المعرفة والإثبات عرفت ربك وأثبتَّ له ما يجب هذا هو العلم، هذا الإيمان، الإيمان عملٌ باطن أن تؤمن بالله أركان الإيمان أليست هي الستة؟ أن تؤمن بالله أول شيء، فالإيمانُ بالله هو العلم معرفة الله تؤمن بأنه الخالق والبارئ والرازق والمحيي والمميت والمصور إلى آخره فهذا هو العلم، فإذا علمت وآمنت بهذا الإله عملت، جاء بعد ذلك العمل به، العمل بهذا العلم،

العِلْمُ مَعْرِفَةُ الهُدَى بِدَلِيلِهِ ۞۞۞ مَا ذَاكَ وَالتَقْلِيدُ يَسْتَوِيَانِ

والعلمُ معرفةُ الهدى بدليله ما ذاك والتقليدُ يستويانِ، فإذا كان العلم هو معرفة الحق بدليله هذا لا يكون سبيله إلا التعلم، أليس كذلك؟ فلابد أن تتعلم، ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]

السمع تسمعُ به ما يُلقى، والبصر تُبصر به وتكتب، والأفئدة يوعى بها ويُحفَظ، فإذا فُقِد السمع فهذا إعاقة، وإذا فُقد البصر فهذا إعاقة، وإذا فُقد فقه القلب فهذه أشدُّ العوائق، عياذًا بالله من ذلك.

ولكن الكفيفُ يتعلمُ سريعًا، فالبصر لا يحول بينه وبين التعلم،لا يبقى إلا الكتابة يُعوضه الله عنها الحفظ، فكم من كفيفٍ حافظ كم من ضريرٍ حافظ أشدُّ حفظًا من المبصر، كفيف وهو عالم حافظ جهبذ، فالبصر لا يُعيق،لكن السمع بُدئ به ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ [الملك: ٢٣] لأنك إذا خاطبته تتعب في خطابه،تتعب في إيصال المعلومة إليه،والآن جاءت لغة الإشارة ومع ذلك كله هي عاجزة، فالذي يفقد سمعه إعاقته أشدّ من الذي يفقدُ بصره، فتجد الذي يفقد البصر كما قلت لكم تجده حافظًا لأن السمع موجود،والفقه في القلب محله موجود ولله الحمد، لكن إعاقة السمع شديدة فلذلك بدأ الله بها فقال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨] فإذًا

العِلْمُ مَعْرِفَةُ الهُدَى بِدَلِيلِهِ ۞۞۞ مَا ذَاكَ وَالتَقْلِيدُ يَسْتَوِيَانِ

فالعلم تعرفه بالتعلم تعرف الحقوق والواجبات بأدلتها، وهذا ليس له سبيلٌ ولا طريق إليه إلا التعلم فبُدِئ بالعلم.

الثانية: العمل به: التي هي ثمرة العلم، في السورة إذا علمت ثم عملت تأتي بعد ذلك

الثالثة: وهي الدَّعوة إليه تُحب أن تشرك غيرك في هذا الخير الذي منَّ الله به عليك،لماذا ؟لأن المؤمن يُحب لإخوانه الخير،المسلم يُحب لأخيه الخير «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» فإذا كان كذلك قام بالدَّعوة إلى الله -تبارك وتعالى -فإذا علِم وعمِل ودعا فليعلم أنَّ الناس أمامه ليسوا كلهم على وتيرةٍ واحدة سيقبلون،سيجد العاقل الموفق الذي يقبل،وسيجد العاقل الـمُتعصِّي الذي يتأبَّى ويحتاج إلى الإقناع والإكثار عليه في الأدلة فهذا إذا أراد الله به خيرًا أدركته رحمة الله قَبِل،وسيجد المعاند فسيناله المشقة مع الثاني ومع الثالث أكثر من الثاني،فحينئذٍ أُمِر بالصبر على الأذى الذي يلحقه في سبيل الدَّعوة إلى الحق، « لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرُ النَّعَمِ».

واصبر على الحق بفتنةٍ وأذىً فيه ❁❁❁ وفي الرسل ذكرى فاقتدر بهم
لواحد بك يهديه الإله يكن ❁❁❁ خيرٌ غرًا لك من حُمْر النعم

كما قال النبيُّ - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لعلي بن أبي طالبٍ يوم خيبر: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ» وقال له في الحديث: «فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرُ» بإسكان الميم من «حُمْرُ النَّعَمِ» الحُمَر بالتحريك جمعُ حِمار أما الـحُمْر جمعُ حمراء فهذه الـحُمْر حُمْر النّعم

الغالية النفيسة عند أصحابها الواحد يهديه الله على يديك خيرًا لك من أن تملك هذه الـحُمْر من النّعم، وهي النّعم وهي الإبل النفيسة، فلابد من الصبر على الأذى في هذا،

وليُعْلَم أنَّ العبد إذا قام بأمر الدَّعوة فقد سلك طريق الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم -، وطريق الرسل ليست بالسهلة، تعبوا - عليهم الصلاة والسلام - ونالهم من الأذى ما قصَّهُ الله -جلَّ وعلا - علينا في كتابه إلى أن أخبرنا أنَّ مِنهم من قُتل من أنبياء بني إسرائيل .

فيجب على الدَّاعية أن يصبر، وأن يحتسب وأن لا يستعجل وأن يدعو الله بسعة صدره ؛أن يوسع صدره للناس فيصبر على أذاهم، ويُخالطهم ليأمرهم بالخير لأنه قد صحَّ عن نبينا - صلى الله عليه وسلم -أنه قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ » وأحسنُ ما تُخالطهم فيه أن تُخالطهم وأنت تُريد لهم الخير وتريد لهم السلامة لا أنك تُريدُ منهم، فهذه مقامات الأنبياء وسادات الأولياء والأصفياء وهم العلماء يُخالطون الناس يريدون لهم الخير، أما أهل الدُّنيا يُخالطون الناس يريدون منهم،ولذلك العلماء أرفع الناس عن الدنيا،وأقرب الناس إلى الناس نفعًا، فهم مثل البدر أكثر الناس ينتفعون بالبدر ليلة اكتماله وليالي ضوئه ولكنه مرتفعٌ عنهم ينالهم خيره ولا يناله دنسهم، لا يتدنسُ بالدُّنيا، تجده قليلًا من الدُّنيا لكنهُ مُترفِّعٌ عما في أيدي الناس لا يطلب الجزاء إلا عند الله -جلَّ وعلا -، لأن الذي أعطاهم لا يُقدر بثمن،

فلا ينبغي للعالم أن يُذِلَّ العلم،ودين الله والدَّعوة إنما قامت على العلم،ولهذا مثَّلهم شبههم النبي – صلى الله عليه وسلم –بعد أن أخبر أنهم ورثة الأنبياء،أخبر أنهم مثل القمر ليلة البدر،القمر يستضيء الناس به،المدن فيها لمبات الآن أصبحت مصابيح وكهرباء، وسُرج في القديم حينما بدأ التطور في الأمة يجعلونها في الأزقة تُعلق الكشَّافات،لكن في الصحاري للمسافرين وفي القُرى من يُنير للناس؟ القمر فيسيرون عليه في أسفارهم، سِرنا والقمر معنا، فهكذا العلماء بمثابة القمر للناس، فنحنُ كُلُّنا مُسافرون هذه الدُنيا دار سفر، دارُ ممر لا دارُ مقر.

وأيُّ اغترابٍ بعد غربتنا التي ❁❁❁ لها أضحَت الأعراءُ فينا تحكَّمُ
وقد زَعموا أنّ الغريبَ إذا نأى ❁❁❁ وشَطَّت به أوطانهُ ليس يسلم

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى، «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ» «مَالِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ» هذا هو المسافر، والدار هذه دار الغُربة.

وأيُّ اغترابٍ بعد غربتنا التي ❁❁❁ لها أضحَت الأعراءُ فينا تحكَّمُ
وقد زَعموا أنّ الغريبَ إذا نأى ❁❁❁ وشَطَّت به أوطانهُ ليس يسلم
فحيَّ على جنَّاتِ عدنٍ فإنها ❁❁❁ مواطنك الأولى وفيها المخيمُ

فنحن مُسافرون إلى الله، إلى دار الإقامة ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] فنحن مُسافرون إلى دار الإقامة الحقيقية،إلى دار القرار والسفر فيها يحتاجُ إلى زاد،والزاد هو الإيمان واليقين،والإيمان واليقين لا يكون إلا بالعلم والدَّالُّون عليه هم العلماء،فشبههم النبيُّ –صلى الله عليه وسلم –بالأقمار بالقمر ليلة البدر يستنير به السائرون في

ظلمات الجهل يستنيرون بنور العلم، كما أن الساري في ظلمات الدُّجى يستنير بالقمر إذا كـان في ليالي مضمرة،فإنه أحسنُ ما يكون السفر لأنه يرى الطُّرق في النهار الحر قد يستكِنُّ فيه ولكن في الليل يسهل له السير فيسير إلى الله ويدله في هذه الطُّرق يدُّله القمر يُنير له الطريق .

فالعلم وأهله، العلمُ نور وأهله هم بمنزلة القمر فينبغي لهم أن يترفعوا ولا يُدنسوا هذا العلم بالدنيا، فالعالم الذي يُداخل الناس لأجل الدُّنيا هذا لص ليس بعالم، وأما الذي يُداخلهم لأجل إصلاحهم وصلاحهم وإرشادهم إلى الله وإلى الدار الآخرة فهذا هو العالم.

يقولون لي فيك انقباض وإنما ❁❁❁ رأوا رجلًا عن موقف الذُّل أحجمَا
أرى الناس من دانهم هان عندهم ❁❁❁ ومن لزمته عِفَّةُ النفس أكرما
إذا قيل هذا مورِدٌ قُلتُ قد أرى ❁❁❁ ولكنَّ نفس الحُرِّ تحتملُ الظما
وما كلُّ برقٍ لاح لي يستفزُّني ❁❁❁ وما كلُّ من في الأرض أرضاه مُنعِمَا
ولم أبتذل في خدمة العلمِ مُهجَتي ❁❁❁ لأخدمَ من لاقيتُ لكن لأُخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلةً ❁❁❁ إذن فاتباعُ الجهلِ قد كان أحزَما
ولو أن أهل العلمِ صانوه صانهُم ❁❁❁ ولو عظَّموه في النفوسِ لعُظِّما
ولكن أهانوه فهانو ودَنَّسُوا ❁❁❁ مُحَيَّاه بالأطماعِ حتى تجهَّما

فالعالم الذي يُداخل الناس يريد الدُّنيا يُريد ما عندهم هذا لص، العالم هو كالقمر ينير للناس سيرهم إلى الله ولا يلمسونه، يبقى في صفاء القمر وفي ضوء القمر وفي رفعة القمر وجمال القمر، ففي ضوء القمر نفع، وفي صفاء القمر تنزيهه لنفسه عن الدَّنس، فهو مرتفع لا يناله أحد ولا يُدنسه، وفي جمال القمر يظهر عليه أثرُ علمه،العلم له بهاء له جمال يظهر على صورة العالم، وذلك

بسبب صلاح الأعمال وصلاح العلم إصلاح العمل، فالواجب على العبد الدَّاعي إلى الله أن يكون بعد أن يكون على بصيرة أن يكون مُترفعًا، وأن تكون نيَّته صالحة يريد نفع الناس ولا يريد أن يأخذ من الناس لأن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ورثوا العلم، تأتي تبغي العلم خذ العلم، وتُحب الناس أن يأخذوا العلم وتُرغِّبهم في العلم، وتُحرصهم عليه وتُحببهُ إليهم وتُسهله لهم وتعرضه لهم بكلِّ وسيلةٍ ممكنة تريد إصلاحهم، وتريد فلاحهم وتريد نجاحهم هذا حال العالم.

فإذا علم وعمل ودعا إلى الله فهذا هو الرَّابح ولذلك قال ابن القيم –رحمه الله تعالى –:

والجهلُ داءٌ قاتلٌ ودواؤه ۞۞۞ أمران في الترتيب مُتفقان
نصٌّ من القرآن أو من سُنَّةٍ ۞۞۞ وطبيبُ ذاكَ العالمُ الرَّباني

فالعلماء الرَّبانيون هم ورثةُ الأنبياء، والعلماء الذين هم ورثةُ الأنبياء هم أعرف الناس بِسُنَّة كما قال ابن حبان –رحمه الله تعالى –: **"من تعرى عن معرفة سنة النبيِّ -صلى الله عليه وسلم - وأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فهذا ليس وارثًا للنبي - صلى الله عليه وسلم –"** بنص حديث الرسول –عليه الصلاة والسلام –: «الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الانْبِيَاءِ» الأنبياء ماذا ورَّثوا؟ ورَّثوا العلم لم يورِّثوا دينارًا ولا دِرهمًا، العلم هذا هو الوحي.

العلم قال الله قال رسوله ۞۞۞ قال الصحابة هم أولى العرفانِ
ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً ۞۞۞ بين الرسول وبين رأي فلانِ
والعلم أقسامٌ ثلاث ما لها ۞۞۞ من رابعٍ والحق ذو تِبيانِ

علمٌ بأسماء الإله وفعله ۞۞۞ وكذلك الأوصاف للرحمن
العلم قال الله قال رسوله ۞۞۞ قال الصحابة ليس خُلفٌ فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً ۞۞۞ بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا ولا نفيَّ الصفات جهالةً ۞۞۞ حذرًا من التمثيل والتشبيه

هذا هو العلم، العلم هذا الوحي هذا هو الوحي: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾[الضحى: ٦ - ٧] يعني وجدك أيُّها النبي وجدك لا علم لك، ليس معنى ضالًّا كما يقول بعض الفجرة والكذبة وجدك ضالًّا يعني على دين قومك،لا،فإن الله قد حمى هذا الرسول مُنذُ أن كان نُطفةً في رحم أمه، وذلك بتسلسله -عليه الصلاة والسلام -من نِكاحٍ صحيح لا سفاح فيه حتى خرج، ثم حماه من طفولته إلى أن أُوحيَ إليه -صلى الله عليه وسلم -وجدك ضالًّا يعني لا علم عندك كما قال الله -جلَّ وعلا - في القرآن يُفسر بعضه بعضًا ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[النساء: ١١٣]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[الشورى: ٥٢ - ٥٣] فهذا هو:

العلم قال الله قال رسوله ۞۞۞ قال الصحابة ليس خُلفٌ فيه

ما فيه خلاف،هذا هو العلم وأما ما عداه فهو الجهل، هذا الذي يُقال فيه العلم فمن كان عالمًا بكلام الله وبكتاب الله وعالمًا بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم -وبما جاء عن

السلف الصالحين وأولهم الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين – هذا هو العالم أيُّها الأحبة، هذا الذي ينفعُ الله –سبحانه وتعالى –به،

فنسأل الله –جلَّ وعلا –أن يرزُقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح وليُعلَم أنَّ الإنسان إذا صبر ظفر، وإذا استعجل حُرِم بسبب عجلته، فنبينا –عليه الصلاة والسلام –كان أروع مثلٍ على الإطلاق، على مستوى الأنبياء فضلًا عمن دونهم، إذا كان على مستوى الأنبياء فلا مُقارنة لمن دونهم، ثلاث وعشرون سنة يدعو قد يقول قائل نوح لبث ألف سنة نقول له هوينك، نحن سنُجيبك، في الأخير إيش قال ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[نوح:٢٦] وهذا قال له جبريل : يا محمد هذا معي ملك الجبال فأمره، فإن شئت أن يُطبق عليهم الأخشبين فعل، قال: «لا بَلْ أَسْتأْنِي بِهِم لعَلَّ اللهّ يُخْرِجُ مِن أَصْلابِهِم منْ يَعْبُدُه ولا يُشْرِكُ به شيئاً » هذا لم يقلها نوح ولم يقلها غيره، وقالها نبيُّنا –صلى الله عليه وسلم –، فيجب على الدَّاعية أن يصبر.

واصبر على الحقِ من فتنةٍ وأذى فيه ۞۞۞ وفي الرسل ذكرى فاقتد بهم

فالرابعة الصبر على الأذى فيه، سيتهمونك ويتكلمون فيك، ما أنت بدع، الرسل قيل عنهم ما قيل، رسولنا أفضل خلق الله قاطبة قيل فيه معلَّم قيل فيه جاهل وقيل مجنون وقيل كاهن وقيل ساحر وقيل شاعر وقيل كذَّاب وقيل وقيل إلى ما لا نهاية،

اقرأ القرآن تجد ذلك فإذا قرأته تجد السلوى في كتاب الله -تبارك وتعالى -، فأنت أيها الدَّاعي إلى الخير ادعُ إلى الله وعلم الناس ولتكن النَّية هي أن تهدي هؤلاء الناس بأمر الله -سبحانه وتعالى -، وإذا صبرت وصلُحت النِّية والله ما يُضيعك الله.

فما عليك إلا الصبر والسير على طريقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم -، ولهذا دائمًا وأبدًا وكثيرًا ما أُكرر ورُبَّما ملَّ من سمع مني أقول معشر الأحبة والأبناء اقرءوا في السيرة النبوية لا تجعلوا السيرة بعيدةً عنكم اقرءوا فيها، انظروا كم لاقى هذا النبي -عليه الصلاة والسلام -من الأذى والمتاعب والمشقات واحتمل حتى نزل عليه: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٢ - ٣]

المتن:

قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : بَابُ : العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ.

الشرح:

لو ما أنزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم، هذا قول الشَّافعي ونقله المصنف -رحمه الله - ولا أدري من أين نقله -رحمه الله- والموجود من كلام الشَّافعي فيما بين أيدينا،لو تفكر الناس في هذه السورة لكفتهم، والشيخ -رحمه الله- المصنف قد يكون نقله من كتابٍ آخر جهلناه نحن، نقله من كتابٍ آخر جهلناه نحن، فلا نهجم على التخطئة، ولا يُخطئ الإنسان إلا بعدما يبحث

ويبحث ويبحث ويصبر حتى يصل إلى اليقين أو ما يُقاربه،فالموجود بين أيدينا في الكتب التي نقلت عن الشافعي هذا،كالبيهقي وغيره :"لو تفكر الناس في هذه السورة لكفتهم " .

لكن: لو ما أنزل هذا لعله وجده الشيخ –رحمه الله – المصنف في كتابٍ أنا لم أقف عليه. نعم،وفعلًا لو تفكروا في هذه السورة كفتهم،ففيها الدَّعوة إلى العلم وفيها الدَّعوة إلى العمل به، العلم الذي سمعتموه، والعمل به كما سمعتم والدَّعوة إليه كما سمعتم والصبر على الأذى فيه هذا هو دينُ الإسلام، انتظمت الدين كله.

العلم: معرفة الله ومعرفة رسوله –صلى الله عليه وسلم –ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، معرفة الرسول ودين الإسلام ستأتي معنا،فالشاهد هذا الأمر كله حوته هذه السورة فلو تفكر فيها،أو **لو ما أنزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم** يعني لو تأملوها حقَّ التأمل وفقهوا ما فيها حقَّ الفقه لكفتهم، بمعنى لكفتهم في الدِلالة على توحيد الله –تبارك وتعالى –وعلى الحث على طلب العلم الذي يستقيمُ به دينهم ودُنياهم .

المتن:

وَقَالَ البُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : بَابُ : العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:19] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

الشرح:

تقدم الكلام على هذه الآية وبيَّنَّا وجه تقديم العلم على القول والعمل وقلنا لأنه إيش؟ دالٌّ على الله ومُصححٌ للعمل، دالٌّ لك أيها العبد على ربك فتعرفه كما تقدم وهذا يورثك تصحيح العمل إذ لا تعمل إلا بعد أن تعلم، فلا تعبد الله إلا بما شرعه لك الله -جل وعلا -في كتابه وبيَّنه لك رسول الله -صلى الله عليه وسلم - في سُنَّته فحينئذٍ تعمل به، فهذا العلم هو السبيل إليه.

المتن:

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ،

الشرح:

قف على هذا، تأخذ الذي بعده، اللهم صلِّ على محمد.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.